

معركة بلاط الشهداء:

لم تذكر المصادر الإسلامية عن نشاط عبد الرحمن الغافقي في حملته العسكرية سوى بعض الأسطر المبعثرة ولذا لم تبق غير المصادر الأوربية التي هي أساس غير مأمون فيما يتعلق بالوقائع التاريخية فلا بد من التحفظ عند النقل عنها.⁽¹⁾

في أوائل عام (114هـ / 732م) سار القائد والوالي الأندلسي عبد الرحمن الغافقي بجيشه نحو شمال الأندلس مخترباً ولاية (أراغون)⁽²⁾ جاعلاً من مدينة (بنبلونة)⁽³⁾ قاعدة لتجمع الجند من المسلمين عابراً (جبال البرت) زاحفاً نحو (آرل) لتخلفها عن أداء الجزية واستطاع أن يستولي عليها بعد معركة عنيفة بينه وبين قوات الدوق (أودو) وعلى أثر هذه المعركة اتجه غرباً قاصداً عاصمة (أكتانيا) فالتقى الفريقان وانتصر القائد عبد الرحمن الغافقي وسيطر على تلك الولاية مما اضطر الدوق أودو إلى الانسحاب نحو الشمال.⁽⁴⁾ وقد أكدت الرواية الإسلامية أن الجيش الإسلامي بقيادة عبد الرحمن الغافقي استحوذ على كثير من الغنائم في أرض العدو التي يسميها في أقاصي عدو الأندلس، وقد قام القائد الغافقي بتقسيم تلك الغنائم بين الجنود المسلمين الذين كانوا معه، وقام بإخراج الخمس من هذه الأراضي التي فتحت عنوة.⁽⁵⁾

ويصف ابن عبد الحكم إحدى تلك الغنائم بقوله: ((... وكان فيما أصاب رجل من ذهب مفصصة بالدر والياقوت والزبرجد، فأمر بها فكسرت...))⁽⁶⁾ وتؤكد المراجع الحديثة بعد التدقيق في سير القائد الغافقي أنه يبعد عن باريس عاصمة فرنسا بمسافة تقدر بـ (295 كم).⁽⁷⁾

لقد استنجد الدوق أودو بـ (شارل مارتل)⁽⁸⁾ والذي لم يكن على مودة معه لصد هجوم جيش المسلمين، فقد قام شارل بجمع الجيوش من جميع أنحاء المملكة ومختلف القبائل الجرمانية والعصابات المرتزقة⁽⁹⁾.

لم تذكر الرواية الإسلامية شيئاً عن هذه الواقعة إلا بعض الكلمات العابرة التي تؤكد استشهاد القائد عبد الرحمن الغافقي. ويعتقد أن تحفظ المؤرخين المسلمين في هذه الحادثة مكتفين بالإشارة العابرة إلى ما فيها من حدث مؤلم لذلك لم يعطوا تفاصيل عنها⁽¹⁰⁾، وقد اتفق

(1) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص 194.

(2) أراغون: وهي مملكة إسبانية في شمال الأندلس وتمثل الثغر الأعلى وتعتبر ذات حصن منيع بالأندلس. ينظر: الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الرومي البغدادي (ت: 626هـ / 1228م)، معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، 1977م، ج1، ص 154؛ خطاب، الأندلس وما جاورها ص 109.

(3) بنبلونة: وهي مدينة في غرب الأندلس بمحاذاة جبال البرت التي تفصل بين إسبانيا وفرنسا. ينظر: البكري، أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت: 487هـ / 1094م)، المسالك والممالك، حققه و وضع فهرسه: جمال طلبه، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 2003م، ج2، ص 384؛ خطاب، محمود شيت، الأندلس وما جاورها، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي، ج2 و ج3- مجلد 38، بغداد، 1987م، ص 86.

(4) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص 99؛ سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، بلاط، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية- مصر، 2000، ص 141 و 142؛ الصنوي، عبد الرب محمد سعيد، اليمينيون في الأندلس- النشاط الجهادي من الفتح حتى نهاية الحجابة العامرية 91-399هـ / 710-1009م، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء- اليمن، 2004م، ص 125 و 126.

(5) ابن عبد الحكم، فتوح أفريقيا والأندلس، ص 92؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص 306.

(6) فتوح مصر وأخبارها، ص 92.

(7) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ص 88-108؛ السامرائي، خليل إبراهيم، الثغر الأعلى الأندلسي - دراسة في أحواله السياسية 95-316هـ / 714-928م، مطبعة اسعد، بغداد 1976م، ص 135 و 136.

(8) هو: شارل مارتل بن بيبين ديريستال ولد عام 689م، اعتقل بسبب اتهامه بقتل أخيه، وفي عام 714م، ثار أهالي القسم الشرقي من المملكة الإفرنجية وجعلوه دوقاً عليهم وبعدها أصبح حاكماً للمملكة الفرنجية لقب بـ (المطرقة) وسموه المسلمين بـ (قارلة) توفي عام 741م. ينظر: أرسلان تاريخ غزوات العرب، ص 94 و 95.

(9) أرسلان تاريخ غزوات العرب، ص 100؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ص 95 و 96؛ العدوي، المسلمون والجرمان، ص 189؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص 141-143؛ السامرائي، الثغر الأعلى، ص 136 و 137.

(10) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج1، ص 104.

أكثر المؤرخين على هذا التاريخ⁽¹¹⁾ في موضع يعرف بـ(بلاط الشهداء)⁽¹²⁾. ولقد جاءت الرواية الإسلامية متضاربة في تحديد تفاصيل المعركة، فمرة تذكر أن عبد الرحمن الغافقي قاد جيش المسلمين في قتال (الروم)⁽¹³⁾، وفي رواية أخرى (ببلاد الإفرنج)⁽¹⁴⁾، أو تسميها أرض العدو، أو في قتال العدو⁽¹⁵⁾.

(11) ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص39؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص119؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص15.

(12) المقري، نفح الطيب، ج4، ص12 و 15؛ الحجبي، التاريخ الأندلسي، ص193.

(13) الروم: مصطلح عام فهو يستعمل لأكثر من بلد أوربي منها سكان الجزيرة الأيبيرية غير الأندلسيين، لقد سكن الروم روما وتولى عليها عدد من الملوك حتى تولى قسطنطين الأكبر وانتقل إلى بيزنطة وسماها القسطنطينية، وحدود بلاد الروم من الشمال والشرق تشمل الترك والخزر والروس، ومن الجنوب الشام والإسكندرية، ومن الغرب البحر والأندلس. للمزيد من المعلومات ينظر: البكري، المسالك والممالك، ج2، ص398؛ الحموي، معجم البلدان، ج3، ص97 و 98؛ الحجبي، التاريخ الأندلسي، ص184.

(14) الإفرنج: هم شعبة من شعب القبائل البربرية التي غزت روما وتقاسمت تركتها بين الوندال والقوط، ونسب بعضهم مصطلح الإفرنج إلى كل من فرنسا والإسبان والترك والخزر والصفالبة.. وتدين بالنصرانية وحدودها من البحر الأبيض المتوسط إلى البحر المحيط، مناخها معتدل صيفاً، شديد البرودة شتاءً. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص306؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص119؛ البكري، المسالك والممالك، ج2، ص399-400؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الثانية، مطبعة مؤسسة ناصر للثقافة، دار السراج، بيروت- لبنان، 1980م، ص50.

(15) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص39؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص14.